الأمير عبد القادر

الفارس الشاعر

رابح خدوسي


2

تقديم:

في ذاكرة الشعوب رجال ونساء عظماء صنعوا الأحداث والمواقف فذكرهم التاريخ في دفاتره... من هؤلاء شخصية جزائرية متفرّدة في زمانها ، متعدّدة فعالها المجيدة وخصالها الحميدة، صاحبها فارس البيان والميدان، متصوّف في محرابه، مجاهد أعداء وطنه، من عائلة شريفة يزيّنها الحسب والنسب، أفرادها كحبّة عقد من الجواهر تجمع الأجداد والأحفاد بحبل العلم والدين، ومن شعب توحّدت نبضاتُ قلبه على نغمةِ حب وطن جميل، ترابه ثمين كسبيكة ذهب ليس بها موضع أحسن من آخر... هما وطن اسمه الجزائر ورجل اسمه الجزائري... كأنهما واحد، وطن في رجل ورجل في وطن...

هو في التاريخ القائد البطل، ينام طيفه في الذاكرة مستيقظا كأنه الأمل، وفي قلب العاصمة ذلك الفارس الذي لا يترجّل، على صهوة جواده تمثال ومثل...

إنه الأمير عبد القادر الجزائري، البطل الذي لم تسع الكتبُ والمجلدات صفاته وأقواله وأعماله، هذه مسيرته نقدّمها موجزة في صفحات لإضاءة جوانب من حياته للفتيان والفتيات.

ر. خدوسي

المولد والنشأة

أقبل الصبح مبتسما بنوره ثم أشرقت الشمس على قرية القيطنة قرب مدينة معسكر في يوم جميل، رحبت به العصافير وهي تطير راقصة على أشجار القرية الكثيرة، سكان هذه القرية ينعمون بجمال الطبيعة ومناظرها الخلابة...



قرية القيطنة مسقط رأس الأمير عبد القادر - معسكر

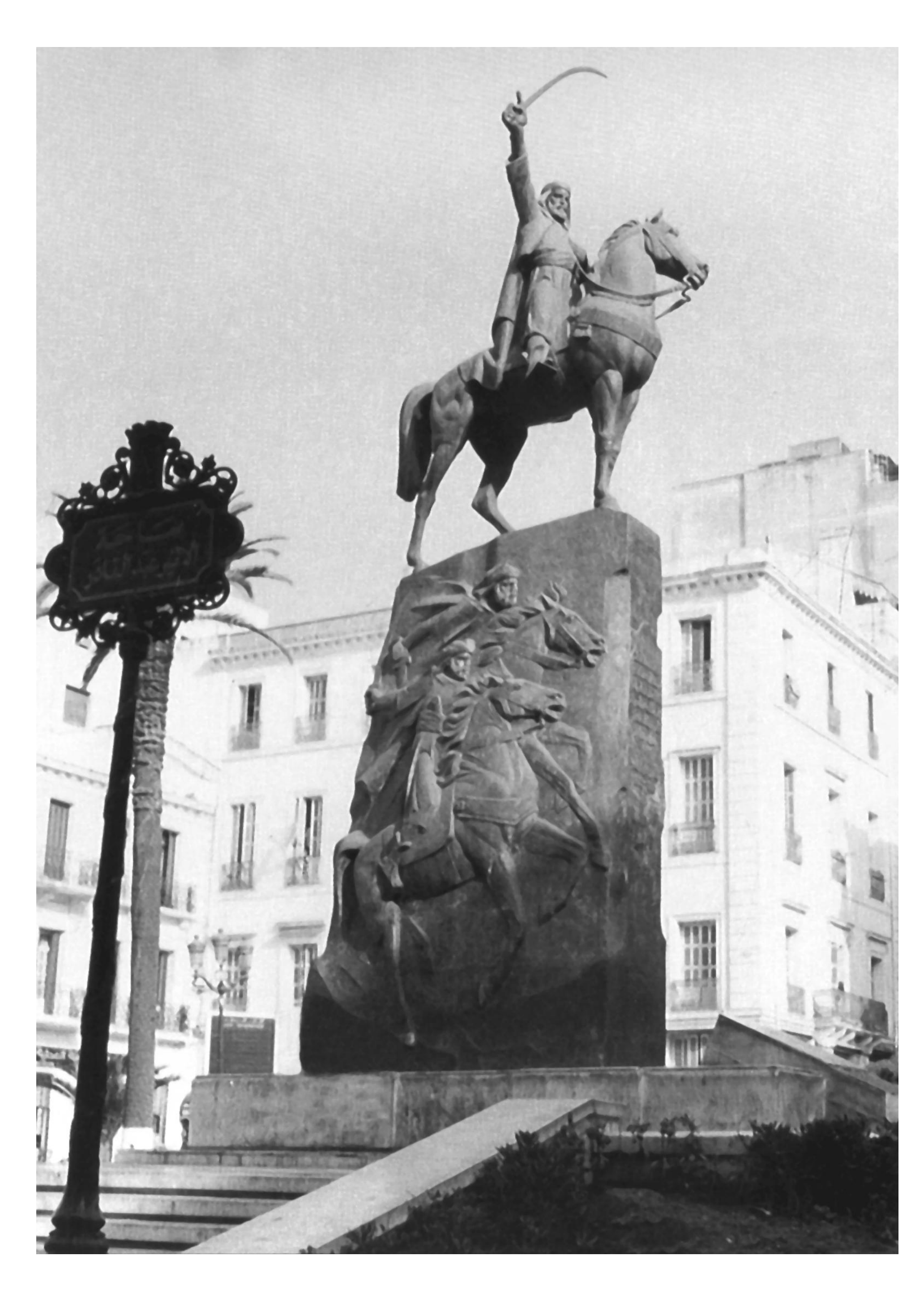
وكعادتهم يهتمّ كلّ واحد منهم بعمله اليومي في فلاحة الأرض أو رعي المواشي، فما أروع الحياة في ربوع البادية!.

لكن هذا اليوم الجمعة 23 رجب عام 1222هـ الموافق لـ1807م لم يكن عليهم كغيره من الأيام... ماذا حدث يا ترى؟!

- يو... يو... يو..

تنبعث الزغاريد من بيت الشيخ العالم محي الدين الحسيني الهاشمي فتقطع حبل الصمت في سكون قرية القيطنة، ويخرج سكّانها من بيوتهم وخيامهم يستطلعون الخبر.

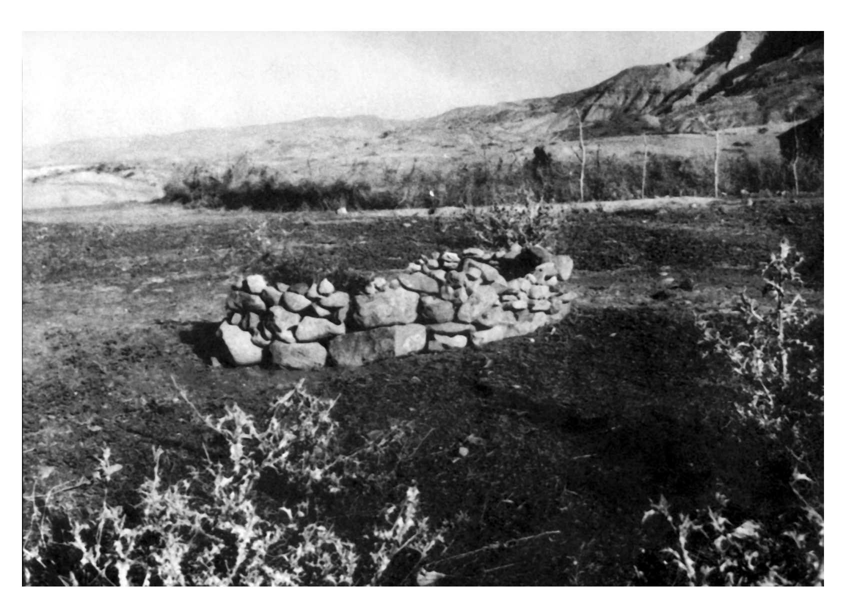
ميلاد صبي بهي في بيت محي الدين سُمي عبد القادر.



تمثال الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة

سعدت العائلة به، بل القرية كلها أقامت الأفراح بميلاده، هذا الذي ضحكت البادية بمقدمه، سيكون له شأن عظيم عندما يصنع التاريخ في الجزائر..(هكذا قال أحد أعمامه...).

ترى لماذا لم يقل هذا الكلام عند ميلاد أشقائه الثلاثة قبل اليوم؟!



أحجار من بقايا الدار التي ولد بها الأمير

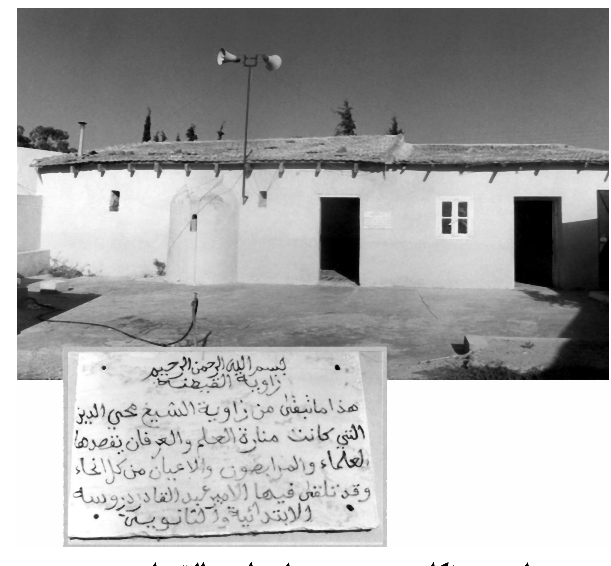
ومرّت الأيام والصبي يترعرع في أحضان والديه الكريمين وفي رعاية أسرته الشريفة المتديّنة التي يعود نسبها إلى بيت النبوة، والمنتمية إلى الطريقة القادرية، وهو القائل مفتخرا بنسبه عندما أصبح شاعرا:

أبونا رسول اللّه خير الورى طرّا ❖❖ فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

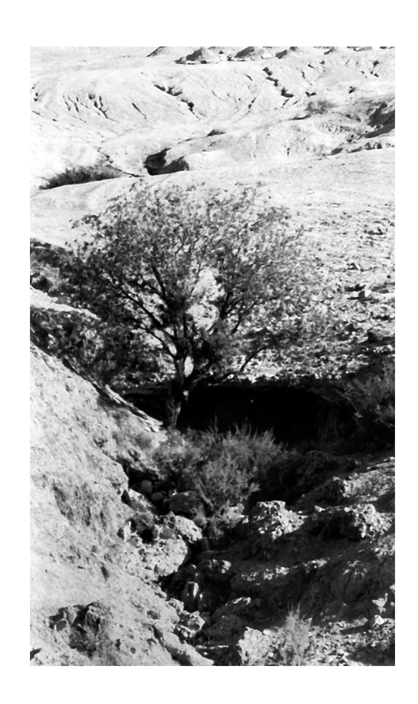
علامات الذكاء والنبوغ تظهر عليه يوما بعد يوم حتى نال محبة وعناية الجميع...

الدراسة والشباب

وجاءت مرحلة الدراسة فكان أبوه أستاذه الأول الذي تعلّم على يديه مبادئ الفقه الإسلامي بزاوية القيطنة والشيخ أحمد بن طاهر قاضي أرزيو في التاريخ والجغرافيا والحساب، ، فما أعظمها مدرسة يعلّم بها والد حنون وقاض عادل!!



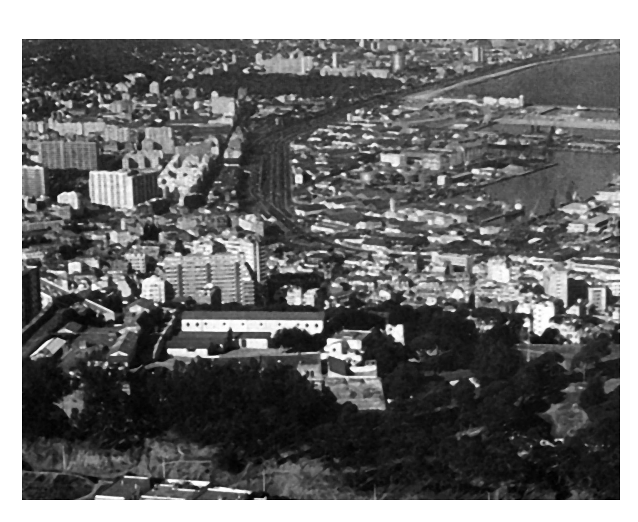
لوحة تذكارية عند مدخل زاوية القيطنة.



تحت ظلال هذه الشجرة

حفظ القرآن الكريم

وبعد مدينة أرزيو هاهي مدينة وهران البهاء والجمال تستقبل الفتى عبد القادر وعمره أربع عشرة سنة.



مـن منـا لا يحلـم بزيـارة هذه المدينـة الباهيـة... عـروس المدائن... وهـران؟!

مدينة وهران التي زارها الأمير طلبا للعلم

دخلها باحثا عـن المدرسـة الـتي يشـرف عليهـا الشـيخ أحمد بن خوجة، وتعلّم بها ما يقارب السنتين ثم عاد إلى القيطنة ليواصل تعلمه...

ترعرع في بيت والده في أحضان العلم وتفتح عقله في رحاب الدين وفي علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه والعلوم اللسانية...

الشعر والفروسية

ونضجت عاطفته مع مطالعته المستمرة لقصص الأولين وأخبارهم، وقصائد الشعراء الأقدمين فحفظ عنهم أروع القصائد وأرقى المعاني... وتدفّقت قريحته الأدبية بينابيع الأحاسيس الجميلة والتعابير الفنية... وكان كأقرانه منذ طفولته محبًا لركوب الخيل، ذوّاقا للشعر قارضا له، ولما بلغ العشرين من عمره أصبح فارسًا شاعرا لا يُشقّ له غبار.. وهو القائل:

وأغشى مضيق الموت، لا متهيبا ❖ وأحمي نساء الحي، من يوم تهوال

يثقن النسا بي حيثما كنت حاضرا ❖ ولا تثــقـن فـي زوجـها ذات خلخال

وتفتحت شخصية الشاب عبد القادر على العلوم وبدأت ملامح الرجولة تظهر عليه...

الحب والزواج

كما قال شعرا غزليا ... واعجبا لهذا الفتى... يقول شعرا في الحب وفي الحرب وفي الزهد وفي المدح، هذا العفيف الطاهر الذي كلّما وعد أنجز وإذا قال فعل...

رفعنا ثوبنا عـن كـل لـؤم ❖ وأقـوالـي تصـدّقـهـا الـفـعــال

ماذا قال في المرأة وهو البار بوالدته، شديد التعلق بها... المحب لزوجته:

أمـازحــه فــلا يــرضــى مزاحـا

وأســألــه الــمـراء فلا يــمــاري

ويعتبنــي فيكســو القلب بسطـا

لأن الــعـتــب يُطـفـي حـرَّ نــاري

فإن هو لم يجد بالوصــل أصــلا

ويدني الطيف من سكنـي وداري

أقــول للنفـس ويــك ألا فـذوبــي

ومــوتــي فالقضــاء عليـك جـار

وقال أيضا:

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد

وأرعـــاه ولا يـــرعـــى ودادي

(أريد حياتها وتريد قتلي)

بـهـجـــر أوبـصـــدّ أوبـعـــاد

وأبكيها فتضحك ملء فيها

وأسهر وهي في طيب الرقاد

وتعمى مقلتي إما تناءت

وعيناها تعمى عن مرادي

وتهجرني بلا ذنب تراه

فظلمي قد رأت دون العباد

وكعادة شباب زمانه حيث كان الزواج يتم في سن مبكّرة لم ينتظر طويلا بعد عودته من وهران وتزوج من لاله خيره ابنة عمه سيدي على أبو طالب، وهو القائل فيها:

إذا ما الناس ترغب في كنوز ❖ فبنت العم مكتنزي وزادي

كيف كان حفل العرس؟ بالخيل والبارود مع الدف والمديح والطعام أم بالطبل والرقص على الأنغام كهذه الأيام؟!.

الرحلة إلى المشرق

رغم أن الرحلة كانت طويلة وشاقّة وفراق الأهل والأحبة كان صعبا غير أن الشوق إلى رؤية بيت الله الحرام كان أقوى دافع وكانت السعادة تغمر الشاب عبد القادر كلّما عرف أن المسافة بينه وبين مكة تقترب من النهاية...

من الجزائر إلى مكة المكرّمة سافر عبد القادر مع والده برًا عن طريق وادي الشلف، قسنطينة ثم تونس ليركب البحر إلى الإسكندرية (مصر) ثم يزور القاهرة ويبحر من السويس إلى جدّة، وأدى فريضة الحج ثم زار المدينة المنوّرة ومنها رافق الركب الشامي قاصدا دمشق، حيث التقى بعلمائها أمثال الشيخ الكزيري عبد الرحمان أحد الأئمة المحدّثين والشيخ ضياء الدين النقشبندي أحد أئمة التصوف، وعاد مع أبيه إلى البقاع المقدسة حيث حجا مرّة ثانية.. ثم عادا إلى أرض الوطن سنة 1828 برا عبر العقبة ثم سيناء وبرقة وبن غازي ثم مصراتة والقيروان والكاف فالجزائر.

الطاقية والشال رمز مرتبة الصوفية "الخرقة الأكبرية" التي حصل عليها الأمير.

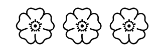
بعد غياب دام سنتين كان الشاب عبد القادر يتولى خدمة أبيه بنفسه، رغم وجود الخدم المرافقين لهم... يا لها من طاعة...!! وأية طاعة أحلى من خدمة الوالد في رحلة مقدسة...!!، وهو القائل مادحا من يرى خدمته واجبا معترفا بفضل الآخرين عليه:

لا زال تخدمه نفسي وأمدحه ❖ مستغرق الدهر أبكارا وأصالا
أهدي مديحي وحمدي ماحييت له ❖ أفادني أنعما ـ جلّت ـ وإقبالا
جزاه عني إله العرش أفضل ما ❖ جزا به محسنا ـ يوما ـ ومفضالا

ويعودان إلى الجزائر فيجدان الأهل الأقارب في انتظارهما فرحين، مهنئين مباركين.

بعد الاستراحة من عناء السفر، تفرّغ الشاب عبد القادر لطلب العلم وتوسّعت معارفه في علوم اللغة العربية والفلسفة اليونانية فدرس أفلاطون وبيتاغورس وأرسطو، وتشرّب كثيرا من كتب المتصوف محي الدين بن عربي والعالم ابن سينا، وكان يهتم كثيرا بالتاريخ والجغرافيا والهندسة والأعشاب الطبية، وقد مكّنته هذه العزلة مع الكتب من الإطلاع على أخبار الأولين وعلومهم وتكوين مكتبة كبيرة للعلوم والمعارف.

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ❖ ولكنه بالعقل والخلق الأسمى
وإن جمعت للمرء هذي وهذه ❖ فذاك الذي لا يبتغي بعده نعمى



إحتلال الجزائر وبداية المقاومة

يحلّ صيف سنة 1830م والشاب عبد القادر في الثالثة والعشرين من العمر ومعه حادث كبير هزّ أركان الجزائر وحيّر النفوس والعقول، إنّه احتلال الجيوش الفرنسية للأراضي الجزائرية... وكغيره من الجزائريين المخلصين شرع الشيخ محي الدين والد عبد القادر في قيادة العمليات الحربية ضدّ العدو الفرنسي المحتل.

وصية بخط يد الأمير لزوجته قبل ذهابه للجهاد.

وتمرّ الأيام ومقاومة العدو مستمرة فيجتمع السكان حول الشيخ محي الدين لمبايعته أميرا لجهاد الأعداء، لكنّه يعتذر ويشير نحو ابنه الشاب عبد القادر، المحبّ لوطنه الذي لم يتوان في مساعدته أثناء العمليات الحربية ضدّ الفرنسيين..

المبايعة

لن ينسى التاريخ يوم مبايعة السكان لعبد القادر أميرًا للمؤمنين في نوفمبر 1832م وكانت هذه البيعة الأولى.



شجرة الدردارة التي بويع تحتها الأمير عبد القادر



خطاب المبايعة

قال في خطاب وجهه إلى كافة العروش:

الحمد لله

إلى قبيلة كذا، خصوصا أشرافها، وعلماءها وأعيانها، وفقكم الله وسدد أموركم.

وبعد: فإن أهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واجتمع معهم قد اجتمعوا على مبايعتي، وبايعوني على أن أكون أميرا عليهم، وعاهدوني على السمع والطاعة في العسر واليسر، وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله.

وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام من بينهم، وتأمين السبل، ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة، وحماية البلاد من العدو، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف.

فلذلك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعا، واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية، والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله.

فاحضروا [illegible] خضوعكم، وتؤدوا بيعتكم، وفقكم الله وأرشدكم

(خطاب الأمير عبد القادر ابن محي الدين في 13 رجب 1248هـ الموافق لـ 28 نوفمبر 1832م)





خطاب المبايعة من أهل غريس ومعسكر



سهل غريس الذي بايع فيه القبائل والمرابطون الأمير

فذاع صيته بين القبائل وتسابقت أخباره بين القرى والمدن، ، الفتى الشجاع، المثقف الذكي، الفارس المقدام يخوض المعارك رافعًا سيفه في وجه الظلم والعدوان... فتمّت البيعة الثانية في شهر رمضان 1248هـ/1833م بحضور جماهير غفيرة من الشعب يتقدّمهم الأعيان والأشراف مبايعين بالقلوب والسيوف.

تنظيم الدولة الجزائرية الحديثة

شرع الأمير الشاب في مرحلة تنظيم الدولة الجزائرية الحديثة إذْ شكّل جهاز الحكومة بتعيين الوزراء وأعاد تنظيم الجيش واهتمّ بالتنظيم الإداري والتموين والضرائب لمواصلة الكفاح وتنظيم التعليم ونشره، كما أسّس نظام القضاء وكان هدفه الأول توحيد الشعب الجزائري دينا ووطنا أما الهدف الأسمى فهو الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين والوطن.



دار القضاء في دولة الأمير



عملة الدولة الجزائرية التي سكها الأمير



برنوس الأمير خلال المعارك

الكفاح بالسيف والقلم

واجه برجاله جيشا قويًّا عددًا وعدّة... أجبر القائد الفرنسي دي ميشيل على سحب قواته الممزقة في وهران.

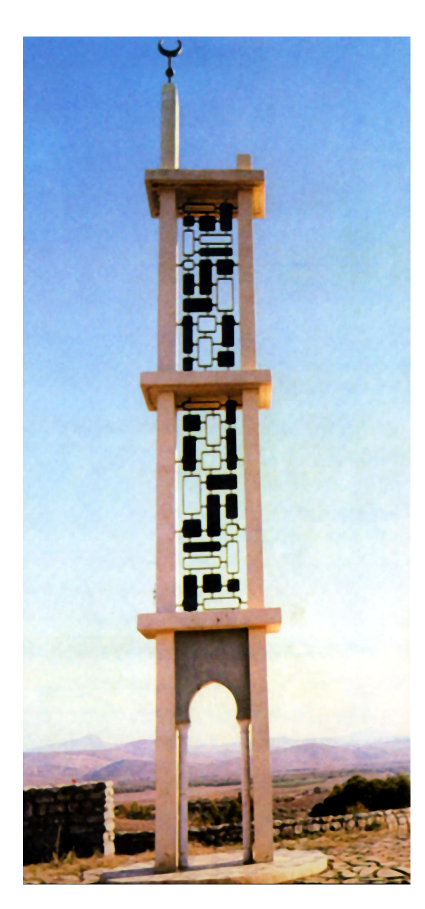
وكان رفيقاه السيف والقلم... فلا يضع أحدهما إلاّ ليرفع الثاني... ويستعملهما أحيانا لغرض واحد هو الحرب... ويقول مفتخرا بجيشه:

جيش إذا صاح صياح الحروب لهم
طاروا إلى الموت فرسانا ورجلانا
هم الجبال ثبات يوم حربهم
فصابر من عداهم صبره خانا
هم الليوث ليوث الغاب غاضبة
والليث لا يلتقى إن كان غضبانا
هم الألى دأبهم شق الصفوف لدى
حملاتهم صار جيش الكفر دهشانا
الدافعون عن الإسلام كل أذى
بأنفس قد غلت قدرا وأثمانا
كم غمة كشفوا كم كربة رفعوا
وكم أزاحوا عن الإسلام عدوانا



مركز قيادة الجيش بمعسكر عاصمة دولة الأمير الأولى.

وفي أرزيو ومستغانم أذاقهم الهزائم... حتى اضطروا إلى عقد معاهدة معه سنة 1834م، ومن أهمّ المعارك التي مُني فيها الفرنسيون بالهزيمة معركة برج رأس العين قرب وهران سنة 1834م ومعركة المقطع سنة 1835م، وبعد صراع مرير على تلمسان تمّت معاهدة «تافنة» بين الأمير وبيجو في 30 ماي 1837م لكن خيانة العهد كانت من طبع المحتل بعد كل اتفاق...



نصب تذكاري لمكان وقوع معاهدة التافنة

إعلان الحرب

نوفمبر شهر الثورة اختاره الأمير عبد القادر ليعلن رسميا عن قراره الحاسم في الثامن عشر منه سنة 1839م المتضمّن الحرب ضد الفرنسيين من مقر إقامته بالمدية.



ساحة دار الأمير بالمدية

انتشر الخبر بسرعة... وبعد ذلك بساعات كان الأمير عبد القادر يقف في شموخ واعتزاز على إحدى قمم الأطلس البليدي... ينتظر ردّ السكان، ينظر شرقا فتحتضن نظراته في اعجاب جبال بني ميسرة من قريب وجرجرة من بعيد ويلتفت شمالا فيرى السجادة الخضراء لمتيجة وهي تستقبل جموع الوافدين من القبائل المجاورة تلبية لنداء الحرب... كأنها تلبية مؤذن ينادي للصلاة في محراب الوطن... لتستمرّ هذه الحرب سنين طوالاً ، ولن ينسى التاريخ هزيمة فرنسا في معركة سيدي ابراهيم سنة 1845م.

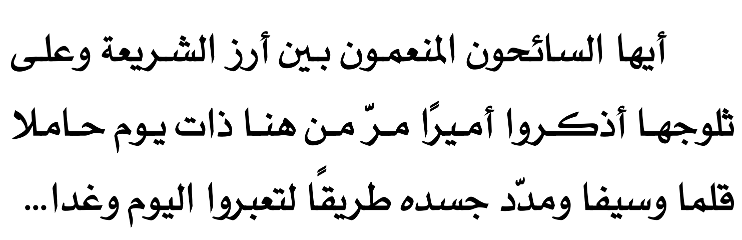
يعاقب بالاشهاد

القانون الخامس والعشرون

الحمد لله هذا اشهاد شرعي

مخطوطتان حول تنظيم الجيش





هكذا تحدّثت الذاكرة... فلنستمع إلى ما يقوله التاريخ للحاضر والمستقبل.

أيها السائحون المنعمون بين أرز الشريعة وعلى ثلوجها أذكروا أميرًا مرّ من هنا ذات يوم حاملا قلما وسيفا ومدّد جسده طريقًا لتعبروا اليوم وغدا...

أيها القادمون إلى مليانة المدينة الجوهرة المعلقة على جبين زكار ابحثوا في قلبها تجدون دار الخلافة ومعمل الذخيرة... وفي المدية هذه داره قائمة، ويا زائرا بوغار بقصر البخاري هذا حصن الأمير... من آثاره الشاهدة...



دار الأمير في مليانة



مصنع الأسلحة في مليانة



أطـلال بـرج الأمـير في بوغـار قصـر البخاري.

ويـا أيتهـا المـدن المطمئنـة البعيـدة القريبـة تاقـدمت و تـازة، سـبدو سعيدة... هل يعلم من سكنوك ثم رحلوا خبر رجل استنجد به قوم رُحلٌ، فأسس لهم مدنا بالحضارة اليوم تحفلُ؟

وتشتدّ المعارك، فيقاوم الأمير وجنده ببسالة برغم المشاق الكبيرة... ويضطر للاستسلام بشروط في 23 ديسمبر 1847م... وهو الذي يقول:

يقضي على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وفي الشهر نفسه يرحل الأمير وعائلته عن الجزائر الأرض، الشعب، التاريخ.

إن يسلـب القـوم العـدا ❖ ملكي وتُسْلمني الجمـوع

فالقلب بـين ضلـوعـه ❖ لم تُسْلِم القلب الضلـوع

أجلي تـأخـر لم يكـن ❖ يهـواه ذلـي والخـضـوع

ما سرت قط إلى القتـا ❖ لـ وكان من أملي الرجوع

شيم الأولى، أنـا منـهـم ❖ والأصلُ تـتَّـبِـعِ الـفـروع

يرحل على سفينة قصدت ميناء طولون الفرنسي...



قلعة أمبواز (فرنسا)

مقر منفى الأمير حتى

عام 1852 م

في المنفى

ما أقسى الاغتراب..! ما أصعب زمن الأسر الذي أمتدّ على أسد الحرية 05 سنوات..! وتمضي السنون بطيئة ويحلّ القيد بالإفراج فانتقل الأمير كنورس الشطآن من شاطئ إلى شاطئ ومن جزيرة إلى جزيرة، شاطئ فرنسا، صقيلة، حتى مدينة بورسه التاريخية على بعد 250 كم من اسطنبول التي تتوسد جبال الأناضول، بورسه عاصمة الامبراطورية اللاتينية، مدينة الحرير ومصنع السيارات، من روائعها الضريح المعطر طبيعيا لأحد السلاطين وكذا تمثال المفكر برهان غازي (من العهد السلجوقي) حاملا بيمينه كتابا ومشيرا بيسراه على السلطان لأمر ما... فيها أقام الأمير ودرّس وألّف كتابه الشهير «ذكر العاقل وتنبيه الغافل»... بروسا المدينة الوفية تتذكره بعد 150 سنة تستقبل رئيس الدولة الجزائرية في فيفري 2005 لتحي ذكرى الأمير عبد القادر في شخصه ولتزرع ورودا في الطريق الكبير بل في

قلبها وتسميه شارع الأمير عبد القادر... هذه المدينة التي لاحظ الأمير تشبهها مع مدينة تلمسان التي تذكرها فقال مقارنا بينهما:

أما الخيام فإنها كخيامهم ❖ وأرى نساء الحي غير نسائها

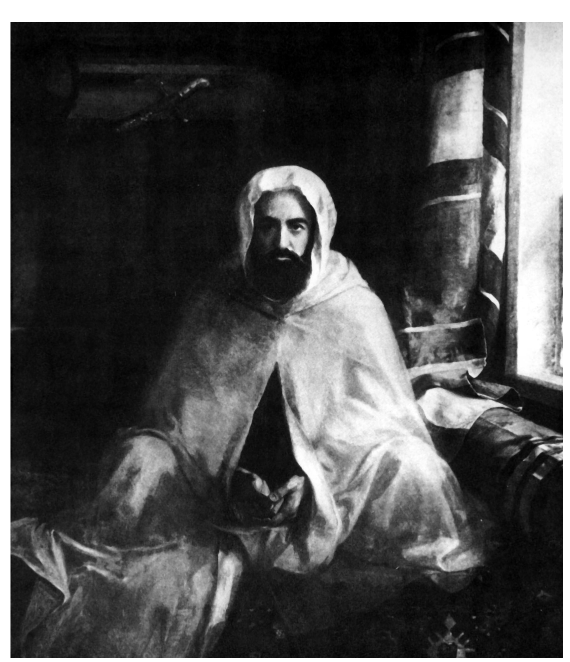
ثم إلى دمشق موطن الآمان... دمشق قلب العروبة النابض التي احتضنت الأمير ومن معه، فأحب فيها عطر الشام وأحبت فيه شذى الونشريس، وفي مسجد بني أمية مع العلم والعلماء تفرّغ للعبادة والتأليف...

وتقع في الشام فتنة بين المسلمين والمسيحيين... من يطفئ نارها التي اشتعلت وكادت أن تقضي على الكبار والصغار؟ يفتح الأمير بيته مأوى لحماية وإنقاذ أرواح المسيحيين، وينادي المنادي:

أيها الخائفون... هذا بيت الأمير عبد القادر... من دخله فهو آمن!! وانبهر العالم بهذا العمل الإنساني... فقدّم له قادة العالم وملوكه الشكر والأوسمة.



قصر دمر مقر سكن الأمير بدمشق



لوحة للأمير في برج "لامالق" بفرنسا

الحمد لله وحده

حضرة الفاضل العالم الحسيب دي صيفري السلام
عليكم وبعد فإنكم أخبرتمونا أنكم أردتم تذكرون
أسماءنا في عنوان كتاب لكم وهذه منة وهذا شيء
فوق حقنا ولا نستاهله ولكن لما عزمتم على ذلك
فأنتم أهل لكل فضل نسأل الله أن يجازيكم عنا
بأفضل الجزاء وأن يكثر أهل العلم والفضل إذ
بهم تصلح البلاد والعباد والسلام عليكم من
عبد القادر بن محيي الدين يوم الاثنين لثمان خلت
من ربيع الأول عام ١٢٦٩

رسالة بخط يد الأمير إلى العالم الفرنسي دي سيفري 1852م

الأمير شاعرا

كما كان للأمير في الحرب سجال وصولات فإن في الفكر والشعر له أقوال وجولات، كتب ومقالات وقصائد جُمعت في ديوان شعري، ويمكن القول: إن ثقافة الأمير الواسعة جعلت منه شخصية عالمية متميّزة، كما أن اطلاعه الكبير وتجاربه الكثيرة وعاطفته الجيّاشة مكّنت قدراته الفكرية من تأليف عدّة كتب ومقالات هامة، وموهبته الشعرية من النبوغ مما سمح له بتناول أغراض مختلفة من الشعر كالفخر والمدح والغزل والتصوف... وهذه مقتطفات أخرى من أشعاره:

في الافتخار بنسبه الشريف:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى
وما تبقى السماء ولا الجبال
وكان لنا- دوام الدهر- ذكر
بذا نطق الكتاب ولا يزال

وقوله:

فإنا أكاليل الهداية والعُلا
ومن نشر عليها ذوي المجد قد طوى
ونحن لنا دين ودنيا تجمّعا
ولا فخرَ إلاّ ما لنا يرفع اللِّوا

وفي وصف الجمال وعاطفة الحب:

وسلــطــانُ الجــمــال لـــه اعــتــزازٌ

على ذي الـخـيـل والـرجــل الجــوادِ

وقوله أيضا:

يا صــاح أنصــت لأخـبــار الــهــوى

حاشا لـمثلــك أَنْ أقــول ولا يـعــي

إنـــي أحــدث بالــهــوى بـغــرائــب

وعجائبٍ حتى كـأنّـي الأصـمـعـي

وفي محبة زوجته:

جفــاني مــن أمّ الـبنيــن خـيـــال

فقـلـبي جريــح والـدمــع سـجــال

وما هي إلاّ الـروح بـل إن فـقــدتــهــا

فــإنّ بقــائــي دونـهــا لـمُــحَــالُ

فقولوا لها إن كنت ترضين عيشتي

فجــودي بطيـــف إن يـعــزّ وصــالُ

وفي الشوق والحنين لأشقائه المقيمين بالمغرب:

هل يجودُ الـدّهــر من بـعــدِ النّــوى

بـاقـتــرابٍ يُحيــي مَيْتًــا لــم يعــدْ

يا ذوي القــربى قــريــبــا مِــن أبٍ

أنــتــمُ ذخـــري وكــنــزي والـــســـنــدْ

وفي الفروسية:

فخيلنا ـ دائمًا ـ للحرب مُسْــرَجَــةٌ

مَــنِ استـغـاث بـنـا بَـشِّــرْه بالــظَّــفَــرِ

نحن الملوك فلا تعــدلْ بـنــا أحــدًا

وأيّ عـيـشٍ لـمـن قــد بـات في خَـفَـرِ

وفي الفخر هذه القصيدة التي يذكر فيها خصاله مخاطبا (أم البنين) زوجته:

تُسَــاءِلُــنِــي أمُّ البَـنِـيــنِ، وَأَنَّــهَــا

لأَعْـلَـمُ مَــنْ تَحْـتَ السَّمَاءِ، بِأَحْوَالِـي

أَلَمْ تَعْلَمِي ـ يَــارَبَّــةَ الخِــدْرِ ـ أَنَّــنِــي

أُجَـلِّـي هُـمُـومَ القَوْمِ، فِي يَومِ تِجْوَالِـي

وَأَغْشَى مَضِيـقَ الـمَـوتِ لاَ مُتَهَيِّـبًـا

وَأَحْـمِــي نِسَاءَ الحَـيِّ فِـي يَوْمِ تهوَالِـي!

وَأَبْذُلُ ـ يَوْمَ الرَّوْعِ ـ نَفْسًا كَــرِيـمَـةً

عَلَى أَنَّهَا ـ فَي السِّلْمِ ـ أَغْلَى مِنَ الغَالِـي

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى:

لَنَا فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ مَجَالُ ❖ وَمِن فَوقِ السِّمَاكِ لَنَا رِجَالُ

رَكِبْنَا لِلمَكَارِمِ كُلَّ هَوْلٍ ❖ وَخُضْنَا أَبْحُرًا وَلَهَا زِجَالُ

وَإِذَا عَنْهَا تَوَانَى الغَيْرُ عَجْزًا ❖ فَنَحْنُ الرَّاحِلُونَ لَهَا العِجَالُ

ومنّا لم يزل في كلّ عصرٍ ❖ رجالٌ للرجالِ هم الرجالُ

سلوا تُخبركم عنّا فرنسا ❖ ويصدق إنْ حكتْ منّا المقالُ

فكم لي فيهم مِنْ يوم حربٍ ❖ به افتخر الزمان و لا يزالُ

وَفِي رَائِعَتِهِ التِي قَالَهَا وَهُوَ سَجِينٌ حَيْثُ أَجَابَ فِيهَا أَحَدَ أُمَرَاءِ فِرَنْسَا مُقَارِنًا بَيْنَ البَدْوِ وَالحَضَرِ:

يَا عَاذِرًا لامْرِئٍ قَدْ هَامَ فِي الحَضَرِ
وَعَاذِلاً لِمُحِبِّ البَدْوِ وَالقَفَرِ
لا تَذمُمَنْ بُيُوتًا خَفَّ مَحْمَلُهَا
وَتَمْدَحَنْ بُيُوتَ الطِّينِ وَالحَجَرِ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي البَدْوِ تَعْذِرُنِي
لَكِنْ جَهِلْتَ وَكَمْ فِي الجَهْلِ مِن ضَرَرِ
الحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيتَينِ رَوْنَقُهُ
بَيْتٌ مِن الشِّعْرِ أَو بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ

وفي وصف جمال دمر مكان إقامته الريفية:

عُجّ بي - فديتُك - في أباطح دُمَّرِ ❖ ذات الرياض الزاهرات النُضَّرِ

ذات المياه الجاريات على الصفا ❖ فكأنّها من ماء نهر الكوثرِ

ومن بين أقواله في التصوف:

فلا عالم إلاّ خبير بشُربها ❖ ولاجاهل إلاّ جهول بها غرّ
ولا غبن في الدنيا ولا من رزيئة ❖ سوى رجل عن نيلها حظّه نزر
ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر ❖ سوى والهٍ والكفّ من كأسها صفر
فقل لملوك الأرض أنتم وشأنكم ❖ فقسمتكم ضيزى، وقسمتنا كثر
خذ الدنيا والأخرى أباغيهما معا ❖ وهات لنا كأسا فهذا لنا وفر
هي العلم كل العلم والمركز الذي ❖ به كلّ علم حين له دور

الأمير مفكرا

أيها الباحثون في بطون الكتب القيّمة، ألقوا السلام على الأمير عبد القادر صاحب هذه المؤلفات والكتب والآثار السائدة، الشاهدة له مع مرور الأيام والسنين:

- **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر (في جزئين).**
- **ديوان الأمير عبد القادر الجزائري: شرح وتحقيق د.ممدوح حقي.**
- **كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد.**
- **نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر.**
- **المقراط الحاد لقطع اللسان لكل طاعن في دين الاسلام من أهل الباطل والإلحاد.**

- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- مذكرات الأمير عبد القادر.
- رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل.

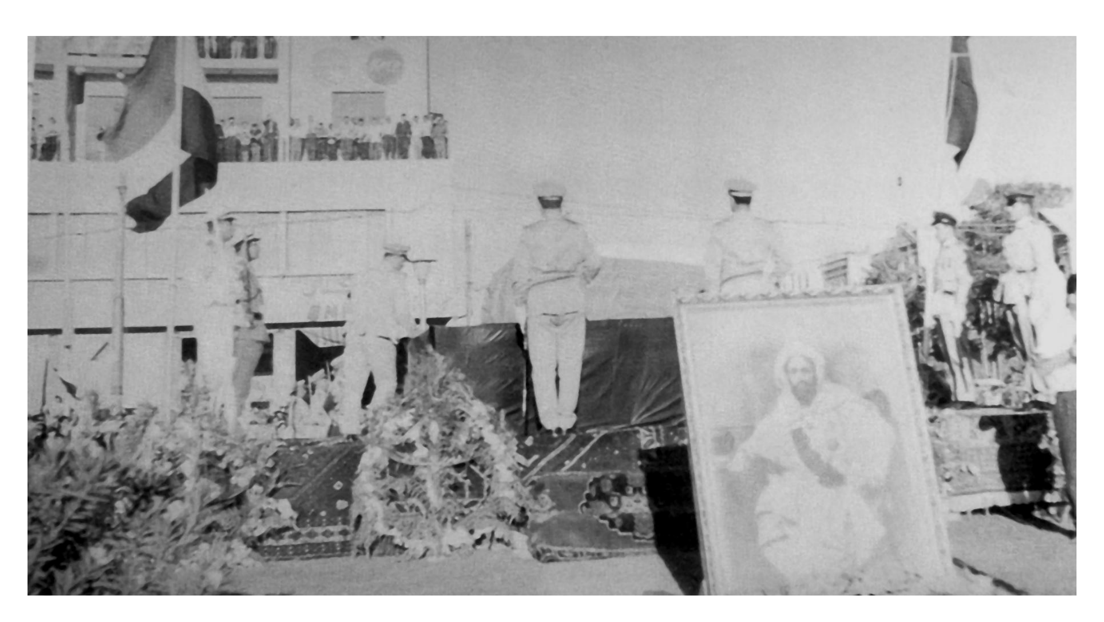


الأمير باللباس الدمشقي

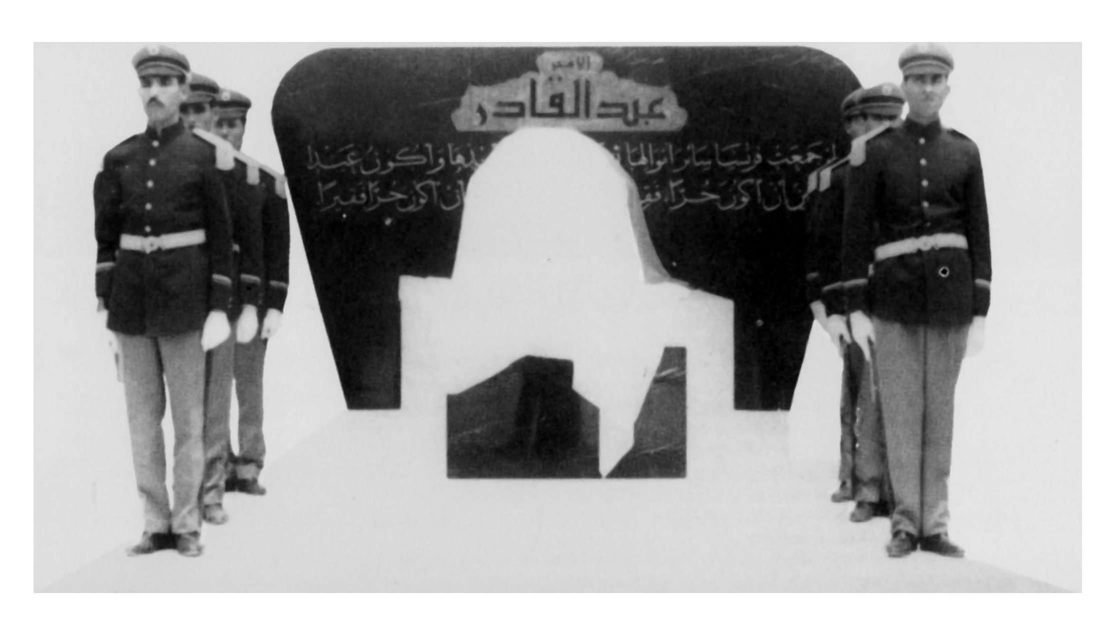
وفاته:

بعد الحج إلى بيت الله سنة 1860م، يواصل الأمير عبد القادر أعماله التعبدية متصوفا والخيرية ناصحا ومانحا والفكرية مؤلفا...

واستمر كذلك ليصل يوم 25 ماي 1883م فتغرب شمس آخر يوم في حياته، وينتظر استقلال الجزائر سنة 1962م ليعود إلى أرض الوطن كما يعود العصفور إلى عشه، يُحْمل على الاكتاف والأعناق وتوضع رفاته في مربع الشهداء بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة... هاهو ينام مستيقظا كالأمل... قرب رجلين من الجزائر هل تعرفهما؟!.



موكب تشييع جثمان الأمير



ضريح الأمير في مربع الشهداء